تلقي الثقافة العربية للسانيات التمهيدية، قراءة في نماذج

Introductory Linguistics Arab Culture Receives Sample Reading

أميرة بلحيمر[1]*

شميسة خلوي[2]

[1] جامعة الجزائر2 (الجزائر)، belhimeuramira99@gmail.com

[2] جامعة الجزائر2 (الجزائر)، dr.choumayssa-khaloui@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2021/02/10 تاريخ القبول: 2021/04/10 تاريخ النشر: 2020/12/23

ملخص:

يقوم هذا البحث بتسليط الضوء على كيفية تلقي الثقافة العربية للنماذج اللسانية التمهيدية؛ و التي تجعل منا القارئ يعانق واقعه اللغوي من خلال تمكينه من مبادئها استنادا لما تنطق به عنوانها؛ والتي تكون غالبا مغايرة لتلك الأهداف المعلنة مما يشوش أفق توقعات القارئ فيتحول ذلك إلى إشكالية التلقي.

رغم نجاح بعض المؤلفات اللسانية التمهيدية في تحديد قارئها فإن الملاحظ أن مؤلفات كثيرة أخرى لم تهد إلى تحديد صائب ودقيق لهذا القارئ (القارئ العادي و القارئ المختص).

و بناءا عليه فإن وعي اللسانيات التمهيدية لا يمكن أن تكون إلا باستحضار قضاياها و شروط تلقيها و العوامل الفاعلة فيه وأهمها تاريخ المتلقي، سياق التلقي، أهداف التلقي، ثقافة و شخصية المتلقي لأي قارئ نكتب.

كلمات مفتاحية: الكتابة اللسانية التمهيدية، القارىء، القارىء العادي، القارىء المتخصص، قصدية العنوان.

Abstract:

المؤلف المرسل: أميرة بلحيمر.

This research highlights how Arab culture receives introductory linguistic models, which make the reader embrace his linguistic reality by enabling him to have its principles based on what its title says, which is often different from those expressed goals, which distorts the reader's expectations and turns into a The problem of receiving.
Although some of the introductory linguistic literature has succeeded in identifying its reader, it is noticeable that many others have not aimed to correctly and accurately identify this reader (the average reader and the competent reader Accordingly, the awareness of the introductory linguistics can only be invoked by invoking its issues, the conditions of its receipt and the factors involved in it, the most important of which is the history of the recipient, the context of receiving, the objectives of receiving, the culture and personality of the recipient of any reader we write.
Keywords: Introductory linguistic writing;The reader; The ordinary reader; Specialist reader; Intentionality of the title

1. مقدمة:

شكل ظهور اللسانيات في الغرب ثورة كوبرنيكية في صعيد النظر إلى الظاهرة اللّغوية، فحملت قضايا اللّغة والتواصل بكلّ تمظهراته المختلفة، وكان لهذا العلم أثره في ظهور الدّراسات اللغوية العربية.

تفتقر الدّراسات اللغوية العربية الأطر المنهجية المثبتة التي تصب في إطار اللسانيات ذلك أنّ ثقافة الوافد قد لا تصلح دائما لقيام دراسات لسانية عربية وتقديمها للقارئ، دون الرّجوع إلى التراث اللّغوي وحمولته المميزة التي تتأسس عليها النظرية اللغوية العربية، فتجتاحه وتستنطقه بكلّ ما تحمله من تحدّد في مقاربة اللغة البشرية والألسن الطبيعة وأمام هذا النقل المعرفي من سياق ثقافي إلى سياق آخر، هذا ما أوقعنا في إشكالية تلقي الثقافة العربية للسانيات التمهيدية، مما طرح تساؤلات تمثلت في: كيف تلقى اللسانيون العرب الكتابة اللسانية التمهيدية ؟ وهل وقعوا في فخ التبعية الثقافية الغربية ؟ ام روضوها لتناسب الذائقة العربية بتعدد متلقيها ،ووفق مايتناسب ظروق وسياق التلقي ؟ "وضع هذا الوعي الغربي أمام نموذجين حضاريين وجعل اللسانيات العربية الحديثة تعيش حالة من المدّ والجزر بين طرفين: الأوّل عائد إلى الماضي باعتباره هوية الأمّة الواجب الحفاظ عليها بتكريسها كرؤية صالحة لكلّ زمان ومكان والتي يعد تجاوزها

شكلا من أشكال الخيانة معتمدا في طرحه على أساليب التقويل والاستنطاق محاولا ربط كل جديد يظهر بالتراث، أمّا الثاني فيعمل على تمثيل الحاضر باعتباره عملا وضع لزمن غير زمننا". (جغيوب، 2011-2012، الصفحات 12-13)

وعلى الرّغم من المجهودات التي تبدل من الباحثين في الدّراسات اللّسانية العربية، فإن هذا المجال يبقى متحسما بالنظر إلى الصعوبات الكثيرة التي تواجه هذا التخصص "لقد حتمت الوضعية الخاصة للسانيات العربية من جهة أنّها محاولة لنقل النظرية اللّسانية الغربية الحديثة على اللسانيين أن يفردوا جزءا بارزا من نشاطهم لتقديم هذه النظرية وعرضها، أي تقديم ذلك الخط النظري الذي ارتبطت به اللسانيات العربية ارتباطا وجوديا للقارئ العربي، ولقد كان هذا العمل إلزامي على الدّرس اللّساني العربي الحديث....." (بكوش، 2004، صفحة 22)

اتجهت حركة التأليف انطلاقا ما قدمته النظريات الغربية من أطر مفهوماتية شملت المفاهيم المختلفة من تعريفات وأسس ومبادئ نهضت عليها الثورة اللسانية "فيمكن القول أن صور النشاط اللّساني العربي تتمثل في اتجاهات حركة التأليف التي تنوعت بين مصنفات عنيت بدراسة مستويات اللّغة العربية في ضوء الدّراسات اللّسانية الحديثة وأخرى حاولت تقديم اللّسانيات الغربية للقارئ العربي، كتلك التي كرّست لنقد النحو العربي من جهة النظر الحديثة وبين حركة الترجمة التي لم تكن حركة واسعة". (بكوش، 2004، صفحة 22)

وأمام هذا الوضع اللّساني المتعدّد المشارب والإتجاهات أصبح من الصّعب تصنيف الكتابات اللّسانية العربية "ونظرا للتطورات التي عرفتها النظريات اللّسانية فقد عرف الخطاب اللّساني بدوره إتجاهات متعدّدة الأمر الذي يجعل كل محاولة تستهدف ترتيب الكتابة اللّسانية وتصنيفها عملية محفوفة بكثير من الصعوبات". (غلمان، 2013، الصفحات 86-87)

ومع هذا لا يمكننا أن ننكر بأنّ الدّراسات العربية لم تخضع للتصنيفات، وإن كانت أغلبها لا تحتكم لمعايير ثابتة وموضوعية وتحمل من التشابه والتداخل لحدّ كبير، وقد خالف هذه القاعدة مصطفى غلمان في كتابه "اللسانيات العربية الحديثة" إذ وضع معايير لتصنيف اللّسانيات وقد حصرها في:

1- الغاية أو الهدف من الدّراسة.

2- موضوع هذه الدّراسة: أهو تراثي أم حديث، أم أنه مزيج من الإثنين.

3- المنهج المتبع في هذه الدّراسة". (غلمان، 2013، صفحة 90)

تتفق جلّ التصنيفات المعمولة في الدّراسات اللّسانية العربية أنّ الكتابات اللّسانية العربية الحديثة إمّا كتابات لسانية تمهيدية أو لسانيات تراثية أو لسانيات عربية وما يهمنا في هذا المقام هي الكتابات اللسانية التمهيدية وما قدمته للقارئ العربي، وهل أخذت بعين الإعتبار ما يجب أن يقدم للقارئ المبتدئ؟ وما المفروض تقديمه للقارئ المتخصص؟.

***الكتابة اللسانية التمهيدية:** تستند الكتابة اللسانية التمهيدية بتبسيط المعارف اللّسانية، حتّى يسهل فهمها وإستعابها، إنطلاقا من التعريف باللّسانيات واتجاهاتها وأعلامها، فهي الفرش النظري في بسط المعارف لأي قارئ والقناة الرّئيسية لنشر العلوم ومن أجل حصول المرام إتجه الباحثين في هذا الإختصاص للكتابة باللّغة العربية وما يعاب على هذه الكتابة "تخلو من أي ربط بين ما تقدمه من معلومات لغوية والواقع اللّغوي العربي، وتكثر الكتابات التمهيدية العربية من المثال التطبيقي المأخوذ مباشرة من اللّغات الأجنبية خاصة اللّغة الإنجليزية، ويعطي عدم إشغال الكتابة التمهيدية بأمثلة من اللغة العربية الإنطباع لدى القارئ عامة أو المبتدئ على وجه الخصوص، أنّ هذه المبادئ المعروضة عليه لا تمس اللّغة العربية في شيء، ولا تنطبق عليها وبالتالي لا تهمها". (غلمان، 2013، صفحة 120)

يعود هذا الأساس إلى طبيعة المصادر التي يعتمد عليها في كتابة اللّسانيات التمهيدية، ودراستها للغة بشكل عام في سياقاتها التاريخية والاجتماعية والنفسية...إلخ داخل الأطر النظرية دون أن تتجاوز الجانب التطبيقي الفعلي والتقني "..... يشكل الجانب التقني أحد الجوانب الأساسية التي تتوسل بها اللسانيات في فرض منهجية علمية للتحليل، غير أنّ الأمر في الكتابة اللّسانية التمهيدية ليس على هذه الشاكلة، حيث يمكن القول أنه من النادر وجود كتابة تعرض التقنية المتبعة في التحليل اللساني.

أيّ أدوات تقنية وطرق إجرائية في التحليل المباشر للغة، رغم أن أغلبية الكتابات اللسانية التمهيدية ذات منحى وصفي بالأساس فإنها تعمل على تقديم المنهجية المتبعة في هذا الاتجاه من إتجاهات الكتابات

اللسانية الحديثة" (علوي، 1998، صفحة 26)، وتبعا لذلك فقد هوجمت لجنوحها إلى البساطة حتى كادت أن تنغمس في التفاهة، فتفقد بذلك القارئ المتخصص.

يتشكل موضوع الكتابة اللّسانية التمهيدية أو التبسيطية مما تقدمه النظريات اللّسانية الحديثة من مبادئ ومناهج جديدة في دراسة اللّغة البشرية بصفة عامة، وتعتمد هذه الكتابة المنهج التعليمي القائم على التوضيح والتبيان والشرح، وما يتضله كل ذلك من وسائل مساعدة كالأمثلة والرسوم البيانية، وتروم هذه الكتابة تقديم اللسانيات ومفاهيمها النظرية والمنهجية بشكل مبسط قصد تيسير المعرفة اللسانية للقارئ العربي سواء كان يلج عالم التخصص أو قارئا ينشد التسلح باللسانيات للإستفادة منها في مجالات فكرية أخرى من فكر عربي أو نقد أدبي أو تاريخ أو ما شابه ذلك". (غلمان، 2013، صفحة 92)

وتبلغ أهمية الكتابة اللسانية التمهيدية كما يراها حافظ إسماعيل علوي من خلال طريقة تأليفها وكتابتها "أنّ الكتابة التمهيدية (أو التيسيرية طريقة في التأليف لا يمكن لأي علم أن يذيع وينتشر بدونها)، لذلك من الطبيعي أن يشكل هذا النوع من التأليف أحد الإهتمامات الأساسية لنشر العلوم وتقريبها إلى القرّاء، فهل نجحت الكتابة اللّسانية التمهيدية العربية في تقريب اللّسانيات إلى القارئ العربي؟ ". (علوي، 1998، صفحة 99)

الغاية التعليمية للكتابة اللّسانية التمهيدية:

إن الهدف من الغاية التعليمية تحقيق الأهداف المسطرة لأي مؤلف أو كتاب، ذلك أن اللسانيات التمهيدية تعتمد أساسا على العتبات النصية لتتوغل إلى المتن، لاعتبارها المحرّك والمهيء والمستقطب والمثير لشهية القراءة عند المتلقي، حتى تسموا بأهدافهم، وتساهم في تسهيل عملية البحث تستنفذ وقتا طويلا، "**تشكل الغاية التعليمية الهدف الذي تروم تحقيقه اللسانيات التمهيدية بنية خطابية متكاملة علميا ومنهجيا، بدء بعنوان الكتاب مرورا بمقدّمته، وعناوين أقسامه، وأبوابه وفصوله وصولا إلى خاتمته**". (علوي، 1998، صفحة 99)

العتبات النصية: أولت المناهج الحديثة المعاصرة في نظريات القراءة وسيميائية النص وجمالية التلقي، أهمية كبيرة لعنوان النّص ومقدّمته، واعتبرتهما مكوّنين (العنوان والمقدّمة) في كونهما أوّل المؤشرات التي تتحاور

مع المتلقي، فتثير فيه نوعا من الإغراء والفضول العلمي والمعرفي....." . (علوي، 1998، الصفحات 99-100)

العنوان:

مفتاح الولوج في مكامن النص، يملك السلطة على متلقيه في الإقبال عليه أو تركه، كما يساهم بفك شفرة النص الدلالية ورموزه السيميائية "العنوان إذن ذو حمولات دلالية وعلامات إيحائية شديدة التنوع والثراء مثله مثل النص، بل هو نص موازٍ، كما عند جيرار جينات، وإذا كان النص نظاما دلاليا وليس معاني مبلغة فإن العنوان كذلك نظام دلالي رامز له ببنينه السطحية ومستواه العميق مثله مثل النص تماما". (قطوس، 2001، صفحة 37)

يتحرك النص وفق أفق توقعات القارئ ليعبر جزءا من ثقافته ومستواه المعرفي، فيفجّرها وينمّيها من خلال إعادة القراءة ويرى أندريه مارتينه "أن العنوان يشكل مرتكزا دلاليا يجب أن ينتبه إليه فعل التلقي، بوصفه أعلى سلطة تلقي ممكنة، ولتميزه بأعلى إقتصاد لغوي ممكن لإكتنازه بعلاقات احالة (مقصدية) حرّة إلى العالم وإلى النص وإلى المرسل". (رزق، 1990، صفحة 223)

وبناءا عليه تختلف العنوانين في تركيبتها النحوية والصرفية والبلاغية والدلالية، كما أنها لا تخضع لقواعد مثبتة، فقد يكون العنوان كلمة أو إسم أو جملة، وقد يحتوي على عناوين رئيسية وفرعية، كما تتوزع بين الطول والقصر والتوسط فما يحمل العنوان في مستواه وبنيته السطحية قد يحقق ويحافظ على توجّهات القارئ، ويضيف عليه ما لم يتوقعه في بنيته العميقة من قيم ومعارف مختلفة، وقد رأى بارث أنّ العناوين عبارة عن أنظمة دلالية سيميولوجية، تحمل في طياتها قيما أخلاقية وإجتماعية وإيديولوجية". (قطوس، 2001، صفحة 37) **الخطاب التعليمي في عناوين الكتابات اللسانية التمهيدية:**

من المتفق عليه منذ البداية أن الكتابات اللّسانية التمهيدية تروم لتحقيق الأهداف العلمية ونشرها للقراء من أجل تقريب اللّسانيات بإعتبارها علما جديدا أثر على مختلف العلوم الإنسانية فلا بد من الاعتراف (منها)

"تحضر الغاية التعليمية بكثافة في الكتابات اللّسانية التمهيدية كما يظهر من هذه العناوين التي تسوقها هنا تمثيلا لا حصرا:

العنوان	المؤلف
علم اللّغة	علي عبد الواحد وافي
علم اللّغة (مقدمة للقارئ العربي)	محمد السعران
علم اللّغة العام	توفيق محمد شاهين
في علم اللّغة العام	عبد الصبور شاهين
اللّسانيات التوليدية والتحويلية	عادل فاخوري
الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام	ميشال زكريا
المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث فيه	رمضان عبد التواب
مدخل في اللسانيات	صالح الكشو
مدخل في علم اللغة	محمود فهمي حجازي
مدخل إلى علم اللغة	محمد علي الخولي
مدخل للسانيات سوسير	مبارك حنون
مدخل للصواتة التوليدية	إدريس السخروثني
دروس في السيمائيات	مبارك حنون
مقدمة في علوم اللّغة	البدراوي زهران
مقدمة في اللسانيات	عاطف فضل
مقدمة في اللسانيات	عيسى برهومة
توطئة لدراسة علم اللّغة	التهامي الدّاجي
مبادئ اللّسانيات	أحمد محمد قدور
مبادئ اللّسانيات	خولة طالب الإبراهيمي

مدارس علم اللّغات	المعتمد بن رشد ومحمد خريص
اللسانيات العامة واللّسانيات العربية	عبد العزيز حليلي
اللّسانيات الوظيفية	أحمد المتوكل (علوي، 1998، الصفحات 102-103)

وظائف العنوان: قد لا يؤذي العنوان أية وظيفة عند القارئ العادي ما عدا أداة تعيين حتى لا يضيع بين مجموعة من المؤلفات الأخرى ويسهل إيجاده إلاّ حقيقة الأمر عكس ذلك فمن الصعب حصر وظائف العنوان، "ومن هذا يصدق قول امبيرتو ايكو: إن على العنوان أن يشوش الأفكار لا أن يحصرها". (الصمعي، 1992، صفحة 464)

"نقديات واضحة أن العنوان هو أول شيفرة رمزية يلتقي بها القارئ فهو أوّل ما يشد انتباهه وما يجب التركيز عليه وفحصه وتحليله، بوصفه نصّا أوليا يشير أو يخير أو يوحي بما سيأتي وعلى القراءة بإعتبارها تلقيا منهجيا، أن تلتفت إلى العنوان محاولة ربطه بجسد النّص" (يحياوي، 1998، صفحة 61) وهنا تتجلى وظائف العنوان المختلفة من أول اتصال بين القارئ والمقروء.

نلمس الوظيفة التواصلية بمجرد قراءة العنوان والإهمام إليه "وهو تبئير انتباه المتلقي وربط نوع من التواصل بينه وبين المقروء، إضافة إلى خلق نوع من التقارب بينهما لتحريض المتلقي على القراءة والتلقي، ومحاولة تقليص المسافة بينه وبين الكتاب وهي وظيفة تؤذيها عناوين الكتابة اللّسانية التمهيدية بدون استثناء". (علوي، 1998، الصفحات 103-104)

ومن هنا يؤذي العنوان وسيلة اتصالية بنقل الرسالة المعرفية إلى المرسل إليه وهو القارئ "وهذه الوظيفة الشاعرية أو الجمالية ترسل عبر قناة وظيفتها الحفاظ على الإتصال". (حمداوي، 1997، صفحة 100)

لقد وفق دارسو وظائف العنوان على عدد كبير منها، فأشار بعضهم إلى وظيفة التعيين والإعلان عن المحتوى، أو إلى وظيفة التجنيس أي التي تكشف عن نمط النص أو جنسه أو نوعه..... لأن العنوان

أحيانا قد يؤذي الوظيفتين معا، ولهذا نجد أن جيرار جينت قد سمّى الوظيفة كلها "وظيفة "العرض" سواء أعيّنت المحتوى أو الشكل أو كليهما". (يحياوي، 1998، صفحة 64)

في حقيقة الأمر أن العنوان لابدّ أن يخفي أكثر ممّا يظهر، وعمقه في متنه حتى يتمسك به القارئ إلاّ أن الوظيفة الإيديولوجية في الكتابة اللّسانية التمهيدية تستوجب البساطة لخلق نوع من الإنسجام بين القارئ المبتدئ والنص بإعتبارها علما جديدا وقد لا يروق لغير المتخصّص.فلو أردنا أن نحدّد وظائف العنوان لما لما خلصنا من هذه المسألة لإختلاف المذاهب والمدارس وكلّ تعكس فلسفتها ورؤيتها فمن الوظيفة التواصلية والشعرية عند ياكيسون إلى الوظيفة الإيحائية عند روبرت سوالز والتناصية عند كريستيفا وبارث وجينيت والإحالة عند ميشال فوكو، كما اتسعت عند هنري ميثران "الوظيفة التعيينية، والتحريضية (حيث فضول المرسل إليه ومناداته، والوظيفة الإيديولوجية، وقد يكون للعنوان وظيفة بصرية أو أيقونية". (يحياوي، 1998، صفحة 100)

العنوان وأفق توقعات القرّاء: يوجه المؤلّف إلى القرّاء والقارئ ليس واحد، وثقافتهم تختلف ومعايير أحكامهم ليست بمنظور واحد فالقارئ المتمرّس ليس كالقارئ البسيط والقارئ المتخصص ليس كالقارئ العادي، وإجتماع الوظائف كلّها في عنوان واحد تصبح عليه نوع من الخصوصية فتثير القارئ وتغريه فتحقق بذلك ما ترومه الكتابة اللسانية التمهيدية، أمّا إذا تقلصت أو إنعدمت هاته الوظائف في العنوان ستفقد لا محالة القارئ العادي والبسيط لإنعدام الإثارة والإنفعالية وقطع وصال التواصل المعرفي بينهما وهذا مما لا يودّ حصوله في الكتابات اللّسانية التمهيدية.

"إنّ الكشف في هذه الحالة يتطلب أفقا معينا، يلتقي هذا المتلقي مع الأفق العنوان (النص الأصغر)، قبل أن ينتقل إلى النص الأكبر فيتعزّز ذلك الأفق التخيلي الذي يولّد أول وهلة أو يخيب" (كليطو، 1987، صفحة 27)، ومن هنا يظهر فعالية القارئ في إنتاج الدلالة.

والمتتبع للكتابات اللسانية التمهيدية، يجد أن العناوين تتميز بالبساطة والسهولة لتأثر في القارئ حيث لا تعلو على المبتدئ فتساير مرماه، حسب ظروفه التعليمية والثقافية مما يخلق بينهما نوع من التعايش الفكري والانسجام والتفاعل.

"إنّ متلقي الكتابة اللّسانية التمهيدية قارئ مبتدأ غايته التعرّف إلى مبادئ اللّسانيات بإعتبارها علما جديدا، لذلك يجب على من يؤلّف في هذا اللّون من الكتابة أن يختار ما يراه مناسبا لجلب القارئ وإثارة إنتباهه، وإغرائه بعبارات محبوكة توحي إلى التبسيط والتسهيل". (علوي، 1998، صفحة 104)

ومن المفارقة أن العنوان قد يتعالى للنزول لأي قارئ فبهذا يتجاوز القارئ العادي إلى القارئ المتخصص ويفهم هذا من خلال الكلمات المفتاحية التي تشكل باب الدخول للنص ومن هنا فقد قيل "أن العناوين هي رسائل مسكوكة مضمنة بعلامات دالة مشبّعة برؤية العالم، يغلب عليها الطابع الإيحائي، لذا فعلى السيميولوجيا أن تدرس العناوين الإيحائية قصد فهم الأدلجة والقيم التي تزخر بها". (ستولز، 1993، صفحة 161)

خطاب المقدّمة:

خطاب المقدّمة ضرورة في أي كتاب تيم إعداده، فلابد على القارئ أن لا يقفز عن صفحاتها لأنّ فيها من الكنوز المجنودة والمعلومات المكتوبة ما تسمح له بأخذ فكرة عن مضمون الكتاب وترك انطباع حول جوهره.

هي طريقة الكاتب أو المؤلف لجدب الاهتمام للكاتب بطريقة ذكية لتلخيص الكتاب من دون إعطاء كافة المعلومات ولكن بما يناسب الموضوع ويخدم المتلقي، يمكن من خلاله التعرف على تسلسل الأحداث أو المواضيع مع أخذ فكرة عم مضمون الكتاب والغرض من إعداده وعلى هذا الأساس "توجيه القراءة وتنظيمها، وبالتالي تهيء القارئ لاستقبال مشروع قيد الإنجاز، سيكون محالة- لا محالة- متن الكتاب، وهذا يعني أن المقدّمة هي نوع من التعاقد بين المؤلف والقارئ". (حمداوي، 1997، صفحة 106)

تختلف المقدمات من كتاب لآخر بحسب الطول والقصر، وكثافة المادّة، وهذا راجع في أحاسيس كثيرة لأسلوب الكاتب والترتيب الزمني لكتاباتها، فالبعض من المؤلفين يكتبون المقدمة قبل البدء بالكتاب فيسهب فيها، هنا يجد القارئ نفسه سواء أمام كم كبير من المعلومات قد تغنيه عن قراءة الكتاب، أو يجد

نفسه أمام وعود المؤلف في المقدمة فتضيع في المضامين، وقد تصلح بعض المقدمات الطويلة جدّا ككتب مستقلة مثل مقدمة ابن خلدون، ومقدّمة فتح الباري.

ما يلاحظ عليه اختلاف بين المقدّمة التراثية والمقدمة الحديثة أو المعاصرة بغض النظر عن مسألة الكثافة والطول والترتيب الزمني لكتابتها قبل أو بعد الفراغ من الكتاب، أن المقدمة في الكتب المعاصرة يكتبها شخص آخر غير المؤلف ينقد الكتاب أو يوضح مزاياه أو يبلى بوجهة نظره...إلخ فعلى سبيل المثال: كتاب اللّسانيات في الثقافة العربية المعاصرة للدكتور حافظ إسماعيلي علوي كان تقديمه من طرف أ. د مصطفى غلمان:

" في هذا العمل المتميز صدق في التعبير عن إشكالات اللّسانيات العربية وما يرتبط بواقع الثقافة العربية الحديثة من عوائق مادية". (علوي، 1998، صفحة 08)

– وفي الدّراسة صبر وكدّ، إذ ليس في متناول أي كان أن يطلع على هذه الأدبيات اللّغوية واللّسانية فيرتبها وينظمها في اتجاهات وتوجّهات.... دون مزايدة أو تطاول وإنّما بالحجّة والإستدلال..."

حرصت الكتب اللسانية التمهيدية في مقدّماتها على تقريب القارئ من الدّرس اللّساني بصورة بسيطة وتواصلية مع الدرس اللّساني "ومن هذا المنطلق تلح مقدمات المؤلفات اللّسانية على هذا الجانب، وتوليه ما يستحق من اهتمام، خصوصا أنّ هذه المقدّمات هي أول ما يقرأ، فتكون بمثابة تعاقد على الإقبال من لدى القارئ، وتسهيل وإنتفاع من لدى الكاتب". (علوي، 1998، الصفحات 108–109)

صياغة المقدّمات في كتابات اللّسانيات التمهيدية:

الكلام الجميل له وقع على النفس قد يحقق أي غاية جمالية أو شعرية أو تهذيبية حتى إنفالعية، المهم أن يسري مجراه في الهدف المسطّر له، إن حسنت صياغته، فأدّى دور الجاذب والمغناطيس، فما بالك إن وجد في مقدمات الكتب اللسانية التمهيدية التي تسحر القارئ في تقديمها للسانيات فتثير فيه شغف القراءة وترويه من مشاربها المختلفة، إلتجأ مختلف مؤلفي كتب اللّسانيات التمهيدية، على مفاهيم غايتها الإثارة والإغراء وجلب المتلقي كما يظهر من خلال هذه العبارات: الجدوى التعليمية.....، الإبلاغ

التعليمي..... تهيئة القارئ....، تقرب حقائقه (علم اللّسان)...توطئة تساعده (المتلقي)... تهيئة للتبع....، تقرب حقائقه... ، توضح أهم أهدافها (اللّسانيات)....، تعريف الدّارس المبتدئ بأصوله....ومناهج...تذوق....هذه الدّراسة تمكن القارئ ....هو مرجع مبسط...". (علوي، 1998، صفحة 109)

أ- مقدّمات الكتب العربية:

جاء في مقدمة كتاب اللّسانيات من خلال النصوص عبد السلام مسدي ".....وبهذا الصنيع يغدو الكتاب أداة تثقيفية إذ بوسعه أن يمكن القارئ العادي من الإسترسال مع صفحاته متتبعا قصة اللسانيات في يسر وعلى غير تراكب فنّي". (مسدي، 1997، صفحة 6)

وفي موضع آخر جاء في مقدمة كتاب تمهيدي آخر "أقدم للقارئ توطئة تساعده على معرفة اللّغة، وتهيئة لتتبع الخطوات اللاّحقة بيسر ومردود كبير". (الرّاجي، 1977، صفحة 5)

ما يلاحظ على هاته المقدمات أنها جاءت مسترسلة واضحة تبين الغرض التعليمي للكتب.

ب- مقدّمات الكتب المترجمة للسانيات التمهيدية:

تميزت بالكثافة ناهيك على الشرح بأسلوب مبسط يخدم القارئ العربي وإستقطابه لأسباب مجتمعة أولها أن هذه المؤلفات وضعت في ثقافة غربية عن ثقافة القارئ العربي، ولقارئ أجنبي متشبع بمعارفها.

محاولة إستعاب أي غموض أو إلتباس في المفاهيم قد توقع القارئ العربي في شراك الأغلاط المعرفية واللّسانية حيث جاء في مقدمة كتاب مترجم " هو مرجع بسيط ويصل إلى حقائق الاتصال الشفهي، دونما الكثير من التعقيد الذي تتميز به بعض الكتب الأخرى في هذا الموضوع، إذ أنه يحتوى على العديد من الصور والجداول والأشكال الإيضاحية، وهو مهتم بشكل رئيسي بكيفية إيصال الفكرة من دماغ المتكلم إلى دماغ المستمع". (بيتر، صفحة 5)

وكأن المترجم يطمئن القارئ العربي بعدم وجود أي عوائق وإشكالات في قرائته للكتاب أو المادة المدروسة فقد ما تعجز عنه اللّغة سيفهم عن طريق الرسومات والبيانات والأشكال برموز غير لغوية.

وللمقدّمة وظائف كما للعنوان منها الوظيفة التواصلية والإنفعالية والإحالية والإيديولوجية والمرجعية تحاول خدمة القارئ وامتلاكه.

تعليمية	إيديولوجية	اخبارية
تواصلية	المقدمة	إنفعالية
إيحائية	مرجعية	شعرية

توزيع الوظائف في مقدمة الكتب اللسانية التمهيدية.

القارئ في الكتابة اللّسانية:

لم يعد النّص كبسولة مغلقة، كما أن القارئ لم يعد مستبعد خارج المنجز الذهني، فقد أولت الإتجاهات ما بعد البنيوية دور وأهمية للمتلقي بإنتاج وإعادة النص بناءا على فعل الفهم القائمة على الخلفيات المعرفية والثقافية للقارئ.

"وكان الاهتمام بالقراءة والقارئ شاغلا للكثير من الدّراسات والنظريات كالدّراسات المبكرة لفرجينيا وولف عن القارئ العادي ودراسات الإتجاه المعروف بنقد استجابة القارئ ودراسات الإتجاه البنيوي الذي اهتم بعملية القراءة ولاسيما (تودوروف، ورولان بارث) ودراسات السيميولوجيين ولاسيما (امبرتو إيكو)". (د. بشرى، 2001، صفحة 33)

أصبح القارئ في ظلّ نظرية التلقي مكانة التفاعل بينه وبين النّص بيد أن القارئ في ظل هذه النظرية متعدد من قارئ مثالي، ضمني، عادي، متخصص...إلخ من صور متعددة، وما يهمنا في هذا التعدد صورتين فقط وهو القارئ العادي والقارئ المتخصص، وما أولته الكتابة اللسانية التمهيدية في نتائج التلقي.

شكلت عناوين ومقدّمات الكتابة اللّسانية التمهيدية رابطا مع القارئ في ظلّ جمالية التلقي وأفق انتظار المتلقي وما قد تطرحه من إشكالات البحث اللّساني في الثقافة العربية خاصة إذا ما خالفت وتعارض منتها بما حملته عتباتها النصية من تبسيط وشرح للمفاهيم اللّسانية المذكورة، "خصوصا أنّ هذا

النوع من الكتابة موكول إليه قبل غيره من أصناف الكتابة اللّسانية الأخرى ملهمة إثارة المتلقي العربي، وتزويده بمعرفة سليمة منهجا وموضوعا.

فهل نجحت الكتابة اللّسانية التمهيدية في مسعاها هذا؟

وهل كانت وفية لتعاقداتها مع القارئ؟..... (علوي، 1998، صفحة 116)

اللسانيات التمهيدية بين قارئ عادي وقارئ متخصص:

أ- **القارئ العادي:** وهو القارئ المتربع على عرش الكتابة اللسانية التمهيدية، وضعت لأجله ومن أجله لتمرير ما هو تأسيسي للمعرفة اللّسانية لتزويده بمداخلها ومفهومها ومبادئها، حيث يكون بعيدا عن كل ما هو معقد وصعب إبتداءا من العناوين مع حرص مؤلفيها على الإبتعاد عن العناوين المركّبة لخلق نوع من التجاوب بين النص والقارئ مثل: مبادئ اللسانيات مدخل في علم اللّغة، علم اللغة....إلخ، وكلها كلمات مبؤرة بعيدة عن التخصص، وضعت خصيصا للقارئ العادي غالبا ما تكون قرائاته سطحية، تقتصر بتداول عناوين الكتب بصورة إنطباعية رأيوية نابعة من رؤيته الخاصّة دون مخلفات معرفية مسبقة، تتداخل فيها العتبات النصية كميز جذّاب للقراءة فهو بهذا يقرأ لغايات شخصية أو ما تمليه عليه العناوين من إثارة جذّابة محاولة منه لإشباع هاته الميزات النصيّة. "ولا يكتفي بعض الكتابات بمثل هذه الإشارات الواضحة، بل تسعى إلى إغراء المتلقي بعبارات محفزّة لإستدراجه إلى خبايا المقروء، كما تقرأ في هذا النص. "قصدنا دعوة القارئ العربي إلى تذوق هذا العلم الحديث والإلمام به، من أجل ذلك هو كتاب تمهيدي". (علوي ح.، صفحة 107)

تخاطب كتابة اللّسانيات التمهيدية القارئ العادي باعتباره قارئ مستهلك للدرس اللّساني تحدّد له أطر الدّراسة من خلال الإنتقال من مستوى لساني لآخر، لأنّه أقل ثقافة من القارئ المتخصص.

القارئ المتخصص: قارئ متشبع ينطلق من خلفيات ثقافية ومعرفية، يتوخى نقل إبداعاته ومعلوماته وإضافتها لما عنده وما يقرأه، فهو محكوم ومجهّز بمنطلقات فكرية ولسانية ومنهجية يستطيع التعامل مع الكتابات اللّسانية التمهيدية بذاتقة عالية وتمرّس في كلّ مضامنها وأشكالها "بكلّ ثقافته ومحيطه الإجتماعي

وإستعداداته النفسية اللّحظية متورط تماما في عملية القراءة، لأنّه يعيد بناء رسالة جديدة يلتحم فيها جزء من فكر المؤلّف المتضمّن في الصّفحات بفكره الشّخصي". (بنحدو، صفحة 471)

إنّ تعريفات القارئ المتعدّدة التي أنتجها نقد استجابة القارئ "تسهم دون شك في رصد أهم ملامح القارئ التي تسعى الدّراسة إلى بلورتها كونه يمثل المحور الذي تنهض به القراءات النقدية، وتتوقف عليه، على إختلاف توجهاتها ومناهجها، فأي تحليل نقدي أيّا كان توجهه ما هو إلاّ تفعيل بشكل أو بآخر لعملية القراءة أو تعبير عن تلف ممكن للنص". (حاتم، 1987، صفحة 71)

إشكالية التلقي في الكتابة اللّسانية التمهيدية:

بعدما عرضنا للقارئ بإعتباره محورا رئيسيا في تلقي اللّسانيات التمهيدية لابدّ من إعادة النظر فيما تحتويه النصوص وما مدى مطابقتها للعنونة والمقدمة، من أجل معرفة تفاعل الذات القارئة مع الموضوع اللّساني، وإستكشاف النتائج من خلال الإنتقال من القراءة إلى الفهم وهذا ما يعتبره ايزر "حجر الزاوية لنقد استجابة القارئ حيث تجمع منهاهجها بين التلقي الإجتماعي التاريخي و(الواقع) النظري النصّي، ولا يمكن نقد استجابة القارئ أن يكون متمرا إلا إذا كان تياراه المختلفان هذان يتضافران ويتفاعلان". (ابرز، 1995، صفحة 211)

بالرغم من أن الكتابات اللّسانية التمهيدية تتوجه في خطاباتها إلى تحديد نوع القارئ إلاّ أنها لم تهتدي على نحو صائب وقد يكون هذا الخطأ لصيق بالمؤلف نفسه لانعدام الثقة بالقارئ العربي وما يتوقعه من أفق انتظاره، فقد يتعالى القارئ المتخصص للنزول إلى النص، وقد يصعب على القارئ العادي الصعود إليه، وهذا ما جاء في مقدمة كتاب علم اللّسان: "لا أستطيع أن أتكلمن من يكون قارئي الآن ولا أستطيع أن أخمن أية عينان تتابعاني الآن حروف كتابي هذا وكلماته وأسطره، ولا أدري في أي يد وقه أهي يد نافع يتوق للمعرفة، وينحرق لها، أم يد شاب بدا يحدّد موقعه في حياة مجتمعنا، أم أنها يد كهل اعتاد على موقف محدد من كل جديد أو قديم". (القضماني، 1994، صفحة 9)

ومن بين إشكالات التلقي كذلك طغيان الإتجاه النظري والوصفي للسانيات التمهيدية، وعدم الإهتمام بالجانب التطبيقي والتقني وهذا ما تطرقنا إليه منذ البداية وقد يرجع هذا الاختلاف إلى الأسباب التالية:

- تعدد المشارب اللّسانية من نظريات والمنهجية المتبعة.
- الإهتمام بالمجال اللّغوي بجذوره التراثية.
- حداثة الإتجاهات اللّسانية العربية، والنقل عن طريق الترجمة والتي غالبا ما كانت خاطئة فوقع إشكالية في المصطلح.
- الإكتفاء بحدود معينة من الدّراسة الوافدة مما نتج إشكالات موضوعية "من خلال التحديد الذي يعطيه عبد الصبور شاهين لعم اللّغة والمواضيع التي يدرجها تحته، غير أنّ ما أدرجه المؤلف تحت إسم "علم اللّغة" و"علم اللّغة العام" يحتاج إلى وقفة مطولة لإزالة ما تحمله مثل هذه التحديدات من غموض وخلط، هل تندرج الفيلولوجيا وعلم اللّهجات وأسماء الأعلام وأسماء البلدان وعلم الإشتقاق التاريخي تحت مصطلح linguistique؟ هذا التداخل في المواضيع التي يناقشها المؤلفين ويحدّدون إطارها جعل من الصعب على القارئ إستعابها وضمّها في خانة اللّسانيات التمهيدية كموضوع قار، لأن بعضها قد يخدم الكتابة التمهيدية وقد يكون فرعا من فروعها فهل من المعقول أن تجتمع كل المتناقضات في موضوع واحد؟

حتى أصبح اللّساني يقوم بدور الرّحالة من أجل جمع لغة الأصم والحيوان "وسنجد اليوم بين علماء اللّسان رحالة وكشافين يقطعون المسافات الشاسعة حاملين حقائبهم وخيامهم على ظهورهم ليدرسوا لغات ولهجات القبائل.... تعيش على خط الإستواء...أو تسكن في سيبيريا والمناطق القطبية...وينتقل هؤلاء اللّسانيون بالطائرة أحيانا...على الزحافات التي تجرّها الكلاب طورا آخر، تراهم يتسلقون الجبال...إلى تجميع بشري ناء..... يتكلم بلغة كانت ذات يوم واسعة الإنتشار" (القضماني، 1994، صفحة 15)

إنّ التنوع في مواضيع البحث اللساني التمهيدي التي لا تخدم القارئ المبتدئ كالسيرورة التاريخية أو الغموض في لبّ الاختصاص ليست ضرورية لكتاب تمهيدي، فلا داع لشحن القارئ بها لأنها تصاعد في إشكالية التلقي.

"تعمد بعض المؤلفات اللّسانية التمهيدية بدافع التأصيل إلى المقارنة بين التراث اللّغوي العربي ومبادئ الدّرس اللّساني الحديث، وهي مقاربة لا تخلو من تعسف وإفراط في التأويل.

إن التأصيل الذي تتحدث عنه هذه المقارنات يقوم على تجاهل الأصول الإبستيمولوجية لكل علم، والتي من المفروض أن ترتكز عليها القراءة.... فعندما يطالع القارئ المبتدئ مثل هذا النص سيتبادر إلى ذهنه، منذ الوهلة الأولى، وجود صراع وتناقض صارخين بين اللسانيات، والتراث اللّغوي العربي، وما أكثر من هذه الإشارات في الكتابة اللسانية التمهيدية التي تنحرف عن غايتها التعليمية لتنساق وراء قضايا وإشكالات تفتح أفق انتظار المتلقي على جوانب من الصراع الوهمي بين اللسانيات والتراث، وهذا ما يسيء إلى الفهم التلقي بشكل عام" (علوي ح.، الصفحات 123-124)

إن قيام أي بحث أو كتابة أي مؤلف يعتمد أساسا على إحالة مرجعية، يعتمدها الباحث في الكتابة اللّسانية التمهيدية ليضع القارئ أمام خيارات عدّة من المراجع سواء كانت عربية أو غربية للإستعانة بها، إلاّ أنّ هذه الوظيفة المرجعية قد تتسبب في إشكالات التلقي، عندما لا تكون مضبوطة بشكل منهجي وعلمي أو كان هذا الكتاب الموجّه إليه يصعب قرائته ويرهق القارئ والتي عادة ما يكون موجّه لقارئ متخصص، أو متضمن لعدّة مواقف وأراء تأخذ لعبة الإقصاء فيه حصّة الأسد من قبول وإستحسان، فيجد القارئ نفسه متشتتا بين هذا وذاك، ولاسيما أن الإقناع والحجة يبلغ مبلغهما عند القارئ المبتدئ لسهولة لإستمالته، "لأنّ القراءة بالنسبة إليه متعة قبل أن تكو سبيلا إلى المعرفة، أو مجالا لتصحيح آراء الآخرين" (وولف، 1971، صفحة 7) ونستدل ذلك في مؤلف تمهيدي "أقدم للقارئ العربي هذا المؤلف الذي يفتح سلسلة من الدّراسات اللّغوية، وهي سلسلة أقصد من ورائها سد الفراغ الذي يشتكي منه علم اللّغة في عالمنا العربي". (الهاشمي، صفحة 3)

وقد يتخذ الإقصاء الإهمام بالذات والمدح حين يجعل من مؤلفة وأبحاثه تفوق مؤلفات غيره في المنهج والسبق

"والأكيد أن كل مؤلف يبقى محكوما بالزمانية اللّسانية والسياق التاريخي للقراءة، وهذا ما يجعله جديدا في مرحلة من المراحل لكنه سرعان ما يصبح متجاوزا بالضرورة في مرحلة أخرى". (علوي ح.، صفحة 127)

قائمة المراجع:

أحمد الصمعي. (1992). *امبرتو إيكو وحدود التأويل، ندوة صناعة المعنى وتأويل النص.* منشورات كلية الآداب بمئوية.

التهامي الرّاجي الهاشمي. *توطئة في علم اللّغة.*

التهامي الرّاجي. (1977). *توطئة في علم اللّغة، .* الدار البيضاء: دار النشر المغربية.

بسّام قطوس. (2001). *سيمياء العنوان* (الإصدار 1). وزارة الثقافة.

جميل حمداوي. (1997). *السيميوظيفا والعنونة .* عالم الفكر.

حافظ اسماعيل علوي. (1998). *اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، دراسة نقدية في الأسس النظرية والمنهجية* (الإصدار سلسلة رسائل وأطروحات رقم (04)). جامعة الحسن الثاني، عين الشق كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب: مطبعة المحمدية.

حافظ اسماعيلي علوي. *اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة.*

رشيد بنحدو. *العلاقة بين القارئ والنص في التفكير العربي المعاصر.*

رشيد يحياوي. (1998). *الشعر العربي الحديث جراسة في المنجز النصي.* إفريقيا الشروق .

رضوان القضماني. (1994). *علم اللّسان* (الإصدار 1). لبنان: مؤسسة دار الكتاب الحديث.

روبرت ستولز. (1993). *سيمياء النص الشعري، اللّغة والخطاب الأدبي .* (سعيد الغانمي، المترجمون) الدار البيضاء.

ريمون رزق. (1990). *مبادئ ألسنية عامة.* بيروت: دار الحداثة.

صورية جغيوب. (2011- 2012). *قضايا اللسانيات العربية الحديثة بين الأصالة والمعاصرة من خلال كتابات أحمد مختار عمر .*

عبد السلام مسدي. (1997). *اللسانيات وأسسها المعرفية.* تونس: الدار الوطنية للنشر الجزائر.

عبد العظيم حاتم. (1987). تفعيل القصيدة في النص السردي. *مجلة فصول ، 16* (03)، 71.

عبد الفتاح كليطو. (1987). *الغائب دراسات في مقامات الحريري* (الإصدار 1). الدار البيضاء: دار توبقال .

فاطمة الهاشمي بكوش. (2004). *نشأة الدّرس اللّساني الحديث، دراسة في النشاط العربيي* (الإصدار 1). مصر: اتراك للنشر.

فرجيينا وولف. (1971). *القارئ العادي- مقالات في النقد الأدبي*. (عقيلة رمضان مراجعة-، سهير القلماوي، المترجمون) الهيئة المصرية العامة للتأليف.

فولينغ ابرز. (1995). نقد استجابة القارئ. (36)، 211.

مصطفى غلمان. (2013). *اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في الأسس النظرية والمنهجية* (الإصدار 1). داورود الأردنية للنشر والتوزيع.

موسى صالح د. بشرى. (2001). *: نظرية التلقي أصول... وتطبيقات* (الإصدار 1). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.

وآخرون بيتر. *المنظومة الكلامية*.